

الفصل الثاني :

النرويج
موطنه الفيننغ والخبجان

شمس منتصف الليل ◆————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

في النرويج

إجتزنا الحدود الفنلندية النرويجية دون أن نشعر بذلك، لا جوازات ولا جمارك ولا تفتيش ولا مخابرات، لم نشعر إلا بالأعلام النرويجية ترفرف على بعض المنشآت، ورفيق الرحلة لم يصدقني عندما أخبرته أنه نظرا للتعاون الوثيق بين الدول الإسكندنافية فلا يوجد على حدودها أي نوع من أنواع التدقيق أو التفتيش، فقد أخذ يجهز نفسه منذ مدة إستعدادا للمثول أمام مسؤولي الجوازات والجمارك وتقديم فروض الطاعة والولاء وتحمل الإهانات ونظرات الشك والريبة كما هو المتبع في الدول المتخلفة عقليا وحضاريا والتي يمارس موظفوها سيادتهم على مواطني الدول الأخرى الذين لا حول لهم ولا قوة سوى أن حظهم العاثر قد أتى بهم إلى هناك!!

نحن إذن في النرويج هكذا سألني زميلي وهو غير مصدق، ذهب ليسأل السائق هل حقا إجتزنا الحدود؟ فبهت السائق وسأله بدوره أو ليست وجهتك هي النرويج؟ قال زميلي نعم، فرد السائق إذا ما هي المشكلة؟ فقال زميلي " ليست هناك مشكلة ولكنني لا أرى أية مراكز حدودية ولا بوابات ولا حرسا على الإطلاق! فعلق أحد الركاب قائلاً: ما الداعي إلى تلك العراقيل؟ فجلس زميلي مندهشا وهو لا يصدق أن التنقل بين هذه الدول يتم بمنتهى السهولة.

أما بالنسبة لي فإن الأمر قد أصبح عاديا جدا، إذ أنني قد قضيت أكثر من ثلاث سنوات مقيما في السويد، وكنت أتردد وبصورة منتظمة على سائر دول الشمال كالنرويج وفنلندا والدنمارك، وليست هناك أية قيود أو حواجز بين الحدود سواء البحرية أو البرية اللهم أحيانا على الجانب السويدي من الحدود البحرية بين السويد والدنمارك... يقف

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

بعض موظفي الجوازات لمراقبة القادمين إلى السويد خشية تسرب اللاجئين من الدنمارك إلى السويد وذلك بسبب إرتفاع مستوى المعيشة والضمانات الإجتماعية في السويد عنه في سائر الدول الاخرى.

النرويج أم نورية؟!!

تبلغ مساحة النرويج حوالي ٣٢٩٠٠ كم٢، وعدد سكانها حوالي ٤ ملايين و ٢٣٠ ألف نسمة، وتكون مع السويد شبه جزيرة إسكندنافيا وعاصمتها هي أوسلو واللغة الرسمية هي النرويجية، وهي لغة مفهومة لدي السويديين، وإن كانت تختلف عنها في مخارج الألفاظ أما عملتها فهي الكرونة وتعادل ١/٦ من الدولار الأمريكي أي أن الدولار الواحد يساوي ٦ كرونات تقريباً.

تأسست النرويج قبل ألف عام، حيث كانت متحدة مع الدنمارك حتى سنة ١٨١٤، ثم السويد حتى سنة ١٩٠٥، ثم ذلك أصبحت مملكة مستقلة.

تتميز النرويج بساحل طويل متعرج تكثر فيه الخلجان والاقوار التي تسمى "فيوردات" ويبلغ طول الساحل نحو ٢٦٥٠ كم، ولكن إذا حسبت أطوال الفيوردات جميعها فإن ذلك يشكل رقماً مذهلاً هو ١٢٠ ألف كم، أي ما يقارب نصف محيط الكرة الأرضية إضافة إلى عدد كبير من الجزر، ورغم وجود المساحات الكبيرة من الغابات والبحيرات، إلا أن الرقعة الزراعية لا تغطي سوى ٣٪ من مساحة البلاد.

وتعتبر النرويج أكبر دول أوروبا وخاصة أقطار العالم في حجم الصيد البحري، حيث يربو الإنتاج السنوي علي المليونين ونصف المليون طن، ويعتبر أسطول صيد السمك النرويجي الثالث علي مستوي العالم.

وتشتهر النرويج كذلك بإنتاج البترول والغاز الطبيعي، أما أهم الصناعات فهي صناعة السفن، ويعتبر الأسطول البحري التجاري واحداً من أكبر أساطيل العالم، ويساهم مساهمة فعالة في الدخل القومي، وهو أسطول متطورة مقارنة بأساطيل الدول الأخرى.

ومن أهم الصناعات أيضاً صناعة المنتجات الخشبية، إلا أنها لا ترقى إلي مستوى فنلندا والسويد (وهو إنطباع شخصي). وتسهم السياحة أيضاً بقدر ملحوظ في الدخل القومي بإعبارها صادرات غير منظورة، وهي صناعة متطورة بالنسبة إلي الدول الأخرى وعلي نفس مستوى الدول الإسكندنافية، أو دول الشمال الأخرى وذلك لما تتميز به النرويج من طبيعة خلابة قل نظيرها.

تسمي النرويج عند أهلها، أو كما يطلقون عليها بلغتهم، نوريه. وتنقسم إلي خمسة أقسام رئيسية هي: "نورد نوريه" وتعني شمال النرويج ومن أهم معالمها منطقة فينمارك التي وصلناها هذا المساء ومنطقة "نورد كاب" التي هي هدف هذه الرحلة، والقسم الثاني هو "ترينديلاج" الذي يلي القسم الأول باتجاه الجنوب، ثم "سورلانديت" وتعني أرض الجنوب ثم "فست لانديت" وتعني أرض الغرب، وأخيراً "أست لانديت" وتعني الأرض الشرقية.

ويتميز إقليم نورد نوريه بصيف قصير، نهاره طويل، أو نهار متواصل لمدة تزيد علي السبعين يوماً، يبدأ من منتصف مايو حتى نهاية يوليو، وشتاء طويل مظلم شديد البرودة حيث تهب عليه العواصف الثلجية القارصة البرودة.

أخيراً وصلت الحافلة إلي بلدة "كارا سيوك" أشارت علينا الرحالتان السويسريتان اللتان ورد ذكرهما في الفصل الأول من هذا الكتاب عند مغادرتنا لفنلندا، بياتريس وكولوديا، أشارتا بمتابعة المسير إلي قرية أخرى حيث يوجد فيها بيت شباب للراحة يوماً واحداً، وهي لا تبعد سوي نصف ساعة عن هذه البلدة، وقد وافقها علي هذا الاقتراح أحد رفاق الرحلة وهو من كوريا الجنوبية، إلا أنني وزميلي فضلنا النزول هنا والإقامة في الفندق الوحيد فيها وهو أحد فنادق مجموعة ساس الإسكندنافية الشهيرة، ذلك لأننا وجدنا غرفة فيه ولا نعرف إن كنا سنجد غرفة في بيت الشباب أم لا ؟، أو كما يقول المثل "عصفور في

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

اليد خير من عشرة علي الشجرة" أو كما يقول المثل الدارج في منطقة الخليج العربي
"احتفظ بمجنونك حتى لا يأتبك من هو أكثر منه جنوناً" ولا أعرف صلة القرابة بين هذا
المثل والمثل الإنجليزي الشهير الذي ترجمته "الشیطان الذي تعرفه خير من المجهول الذي لا
تعرفه" أعادنا الله من شياطين الإنس والجن، وهل صحبة الشيطان فيها خير سواء كنا
نعرفه أم لا نعرفه؟!

الإبحار إلي سقف العالم!؟

أقمنا ليلة واحدة في هذا الفندق، الهدوء يلف المنطقة بأسرها، لا أثر لليل هنا، لذا فإنهم قد وضعوا ستائر سوداء كثيفة علي النوافذ حتى تحجب ضوء النهار، أخذنا قسطنا من الراحة وغادرنا في اليوم التالي بواسطة الحافلة إلي قرية "باناك" حيث أقام جميع رفاق الرحلة بما فيهم الكوري والسويسريتان والذين قضوا يوماً ممتعاً حسب قولهم مع مجموعات أخرى من السياح القادمين من مناطق شتي من العالم، وانتظم الجميع في الحافلة الوحيدة لهذا اليوم والتي ستغادر إلي الشمال، وصلت الحافلة إلي مرفأ صغير حيث لا بد لنا من النزول لكي نأخذ سفينة أو عبارة لننقلنا إلي ميناء "هونينسفاك" والتي تقع بدورها في جزيرة كبيرة تكثر فيها الجبال والمرتفعات والخلجان أو الفيوردات، قطعت العبارة البحرية المسافة في ساعة واحدة تقريباً، واجهنا خلالها رياحاً عاتية، إلا أن الأمواج لم تكن عالية، ومرد ذلك أن سطح البحر شبه محمي بواسطة الخلجان الصغيرة والصخور الجبلية التي تتكسر عليها الأمواج.

رغم أن الوقت صيف، إلا أن الثلوج تغطي المناطق المرتفعة من الجبال، خدمة العبارات في هذه المنطقة متواصلة، لا يستغرق الإنتظار أكثر من نصف ساعة في عملية تبادلية بين المرفأين أو الشاطئين.

وصلنا إلي مرفأ مدينة "هونينسفاك" والمرفأ ينقسم إلي قسمين، القسم الأول مخصص للعبارات التي تحمل الركاب والسيارات الخاصة وسيارات الشحن الكبيرة وغيرها من المعدات، والقسم الثاني عبارة عن ميناء تجاري لشحن وتفريغ البضائع وبه رصيف يستخدم لرسو سفن الركاب التجارية المنتظمة التي تعمل علي السواحل النرويجية من

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

أقصى الشمال إلي أقصى الجنوب ذهاباً وإياباً في رحلات لا تتوقف صيفاً وشتاءً تنقل خلالها الركاب والبضائع أو الطرود الصغيرة وأيضاً البريد وهي سفن قديمة يعوّد صنعها إلي عقد الستينات، إلا أنها تعمل بصورة ممتازة.

يبلغ عدد سكان هذه المدينة أي مدينة "هونينسفاك" حوالي ٤٥٠٠ نسمة، تفد إليها سفن الركاب الضخمة قادمة من أوسلو العاصمة، حيث يتم تنظيم رحلة إلي منطقة نورث كاب، وهذه المدينة هي أقصى مدينة مأهولة شمالاً وأقصى نقطة تصل إليها هذه السفن التي هي بمثابة فنادق متنقلة تحتوي علي جميع وسائل الترفيه، وعندما تصل هذه السفن إلي المرفأ، يتم نقل الركاب أو السياح إلي منطقة نورث كاب بواسطة الحافلات وتستغرق الرحلة من وإلي أوسلو حوالي ثلاثة أيام، ورغم المتعة والرفاهية التي توفرها هذه السفن، إلا أنها لا توفر الوقت الكافي للتمتع بجمال الطبيعة الباهر بين الخلجان والجزر والذي يوفره النوع الآخر من السفن الصغيرة، وعلي كل حال إستخدام السفن الفخمة لا يتناسب إطلاقاً مع قدراتنا المالية ولا حينا لليساطة والتمتع بجمال الطبيعة.

ذهب زميلي مع بياتريس وكلوديا للإستفسار عن مكان للإقامة فيه يكون قريباً من منطقة نورث كاب والتي هي وجهتنا في هذه الرحلة لرؤية شمس منتصف الليل، وكان الجواب أنه لا يوجد سوي هذه المدينة التي امتلأت فنادقها عن آخرها بالسياح، إلا أن بياتريس الرحالة السويسرية المتمرسه، ظفرت بمن يدلها علي أقرب منطقة مأهولة لنورث كاب، وهي عبارة عن قرية صغيرة تتوافر فيها خدمة الإقامة علي صورة "موتيل" وهو مستوي من الإقامة أقل من مستوي الفنادق ويطلق عليه "رزدنسيا" في أمريكا الجنوبية وسائر الدول التي تتحدث الأسبانية، وفعلاً أجرت بياتريس إتصالاتها الهاتفية وجاءتنا مستبشرة: لقد ظفرت بكوخ سنيقيم فيه لا يبعد كثيراً عن مقصدنا.

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

وعلق زميلي قائلاً: "إذن سيرؤها" وهو تعبير مازنا نحفظه عن ظهر قلب وكان يتردد في نهاية مسلسل أمريكي قديم عن رعاة البقر اسمه "قطعان الماشية" وكان يذاع مدبلجاً من محطة تليفزيون أرامكو في فترة الستينات، وأرامكو هي شركة النفط الأمريكية التي أصبحت تملكها حكومة المملكة العربية السعودية، ومحطتها التليفزيونية كانت هي أول محطة تليفزيونية عربية في منطقتي الخليج العربي وكانت تذيع جميع المسلسلات الأمريكية مدبلجة إلى اللغة العربية، وكانت تتم الدبلجة في لبنان، بحيث نشاهد المسلسل الأمريكي وأفراده يتحدثون اللغة العربية الفصحى، ومازنتُ أذكر تلك المواقف الطريفة التي لم نكن نعرفها ونحن صغار، وهي أن يقف الممثل الأمريكي في حانة ثم يطلب "قدحاً من العصير" كما كنا نسمع من خلال الدبلجة، ثم بعد ذلك يغادر الممثل المكان يترنح، لماذا وقد تجرع كؤوساً من عصير؟ لم نكن نعرف لماذا في تلك الأيام، بل كان البعض منا يقلد تلك الحركات التمثيلية بلا وعي أو إدراك عن حقيقتها ... ثم كبرنا وعرفنا أن أقداح العصير لم تكن سوي كؤوساً من طلال!

أخذنا الحافلة مرة أخرى ولكن باتجاه الشمال، إلى قرية تدعى "سكارسفاج" في طريق جبلية متعرجة تتسع بالكاد لمرور سيارتين متقابلتين صعوداً وهبوطاً، ورغم المناظر الخلابة إلا أنني لا أنصح أصحاب القلوب الضعيفة مجرد التفكير في القيام بمثل هذه الرحلة.

ويبدو أن حكومة النرويج قد أنفقت الأموال الطائلة لإستصلاح وشق هذه الطرق الباهظة التكاليف وسط الجبال والصخور، والحافلة التي ركبناها عبارة عن واحدة من مجموعة حافلات تمثل المواصلات البرية المنتظمة، أو النقل العام، بين مدن وتقرى هذا الجزء النائي من النرويج، ارتفعت بنا الحافلة بعد الطرق المتتوية إلى قمم الجبال المستوية والمنبسطة أمامنا والتي تكسوها طبقة من الثلج الناصع البياض.

شمس منتصف الليل ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

ولقد شاهدنا علي تلك المساحة البيضاء المستوية أعمدة تشبه العصي الخشبية نصبت واحدة تلو الأخرى، ونسأل لم هذه العصي؟ فقليل لنا وضعت لكي يهتدي الناس بها أثناء تساقط الثلوج في الشتاء، ولكي يتتبعها هواة التزلح علي الجليد.

أخيراً وصلنا إلي قرية "سكارسفاج" وهي قرية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها مائة شخص وأغلبهم من الصيادين وتعتبر هذه القرية، أقصى منطقة سكنية مأهولة شمالاً وأقربها إلي منطقة نورث كاب.

علي مدخل القرية سهم يشير إلي مكان للإقامة عبارة عن مجموعة أكواخ يتم تأجيرها في فصل الصيف للقادمين لرؤية شمس منتصف الليل، وتقع بالقرب منها قطعة أرض فضاء مخصصة لأصحاب الكرافانات، وملحق بهذه الأكواخ في مبني منفصل حمام للرجال وآخر للنساء ومغسلة الملابس ومطبخ صغير مشترك، أما الاستقبال فهو عبارة عن كوخ صغير تباع فيه الهدايا التذكارية والأدوات الضرورية التي يحتاج إليها العابرون والمسافرون ويدير هذا المنزل عائلة مكونة من رجل وزوجته وابنتيه الصغيرتين.

بادرت بياتريس التي قامت بإجراءات الحجز قبل وصولنا إلي هنا، بسؤال صاحب المنزل عن الكوخ الذي سنقيم فيه ففتح لنا الرجل أحد الأكواخ، وإذا هو عبارة عن غرفة صغيرة فيه سريران فوق بعض كأسرة البحارة، ومنضدة صغيرة وكريسيان.

سألت الرجل: إن هذا الكوخ لا يتسع إلا بالكاد لشخصين، ولكن أين الكوخ الآخر الذي سنقيم فيه أنا وزميلي؟ فقال: لا يوجد سوي هذا الكوخ فقط وتدبروا أمركم! وأسقط في أيدينا، هل سنقضي ليلتنا- إذا صح التعبير وهو غير صحيح لعدم وجود الليل هنا إطلاقاً- في العراء وفي هذه البرودة الشديدة! وهنا بادرت السويسريتان بياتريس وكلوديا بالقول أنه لا مانع لديهما من مشاركتهما الإقامة في هذا الكوخ مادام لا يوجد حل آخر، ولكننا رفضنا مجرد التفكير في الأمر.

وأخذت أنا وزميلي نتفقد المكان علنا نعثر علي مكان أو غرفة نقيم فيها ولكن لا فائدة، تجولنا في القرية علنا نعثر علي مكان نأوي إليه، دلنا أحد الصبية علي أحد مخازن أعتدة الصيد وأعني صيد السمك علي الرصيف الخشبي ولكن المخزن كان بارداً، رطباً تعبق فيه رائحة السمك التي لا تطاق البقاء خارجاً هكذا، حتماً سوف يودي بنا إلي نزلة برد قاسية وقد نصاب بالحمى، إذن ما العمل؟! .

عدنا إلي النزل بخفي حنين، قال صاحب النزل إنكم جئتم في قمة الموسم ولا يوجد مكان شاغر في هذه القرية كلها، ولم يكن بودي أن ترهقا نفسيكما بالبحث ولكن رضخت لإصراركما، علي كل حال تستطيعان تدبر أمركما في المطبخ الصغير الملحق بالنزل لأجل المبيت بشرط أن تخليا المكان عندما يحتاج إليه سكان النزل وسوف أزيدكما بما يلزم من فرش النوم والأغطية، وافقنا بلا تردد، إذ أنه لا حل آخر سوي المبيت في العراء، وعلينا أن نتحمل رائحة الطبخ وحمدنا الله أن القوم هنا لا يعرفون الثوم وإلا كانت ليالينا- إن كانت هنا ليال- لا تطاق!، نقدنا الرجل أجرته كاملة فكل شئ هنا بسعر، مزيد من الأغطية بعني مزيد من الكروونات الواجب سداها....

أخذنا نتجول حول النزل بعد أن وضعنا حقائبنا في كوخ السويسريتين الذي هو أكثر أمنا من مطبخنا أو غرفة نومنا، حيث أغلقت بياتريس الباب بالضبة والمفتاح، النزل عبارة عن أكواخ لا تتعدى العشرة في مجموعها، كما أن هناك العديد من السياح الأوروبيين الذين جاءوا سيارات الكارافان وهي سيارات كما هو معروف تحتوي علي غرفة نوم أو أكثر وكأنها منزل صغير، وقد إصطفت هذه السيارات في ساحة مخصصة لها وتم تمديد أسلاك الطاقة الكهربائية من مجمع كهربائي تابع للنزل إلي هذه السيارات حتى تستعين بها في الإضاءة والتدفئة والطبخ وهذه الخدمة بمقابل، إلا أنها أقل من سعر الإقامة في النزل.

الحياة في سقف العالم !!

الوقت علي ساعتنا يشير إلي السابعة مساء، الشمس في كبد السماء كأنها الواحدة عندنا، لابد من الاغتسال من وعشاء السفر، وننتهز فرصة وجود مكان لغسيل الملابس لكي نغسل ملابسنا، ومن ثم علينا الإستعداد للذهاب إلي نورث كاب حيث شمس منتصف الليل في أوضح صورة، وتبعد المنطقة من هنا حوالي ساعة بالحافلة، ولكي نصل إلي حيث أقرب موقف للحافلات علينا السير مشياً علي الأقدام قرابة ساعة ونصف ساعة أو يستحق الأمر كل هذا العناء ؟ نعم، لقد جئنا وقطعنا آلاف الأميال أياماً عدة لهذا الهدف الذي لم يبق علي الوصول إليه سوي سويجات قليلة سوف تمر ثم تبقي لنا ذكراها الجميلة....

مازل الوقت مبكراً علي منتصف الليل حسب ما تشير إليه عقارب الساعة لا حسب ما نراه أمامنا، اقترحت كلوديا أن نتفقد هذه القرية وتتناول شيئاً من الطعام، لعله طعام العشاء فقد مر وقت نحسبه طويلاً لم ينتظم لنا غداء ولا عشاء، مجرد لقيمات قليلة نتناولها ونحن علي عجل.

أخذنا نتمشى في شوارع القرية أو طرقاتها بمعنى أصح، وقد التف حولنا عدد من الأطفال ... سألناهم عن مطعم فدلونا علي واحد صغير وهو الوحيد في هذه القرية، والوجبة المفضلة وربما الوحيدة هي السمك المسلوق وهو طازج هنا علي الدوام، لأن حرفة أهل القرية الوحيدة هي صيد السمك، كما أن هناك مصنع لتعبئة الأسماك في براميل خشبية بعد تليحها ليتم تصديرها بعد ذلك إلي الجنوب حيث الكثافة السكانية....

نسأل صاحبة المطعم عن الحياة هنا حيث النهار المتواصل في الصيف والليل المتواصل في الشتاء ؟ فتقول: إنها تبدو لكم غريبة، ولكننا إعتدنا عليها، الصيف كما ترين مشرق

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

مفعم بالنشاط والحيوية، بينما الشتاء كئيب معتم يبعث علي الخمول، الشباب لا يطيقون العيش هنا حيث لا تتوافر وسائل الترفيه والتسلية، مهنة السكان كما أسلفنا صيد السمك كما يقوم بعضهم بتربية الوعول أو حيوان الرنة في حظائر ملحقة بمنزلهم، وتحيط بالقرية من كل جانب سلسلة جبال خضراء وهي بمثابة مراعي جيدة وبالقرب منها عدد من البحيرات الصغيرة التي تكونت نتيجة لذوبان الثلوج في أعالي الجبال حيث تتساقط المياه كشلالات صغيرة.

بياتريس وكلوديا رحالتان سويسريتان مواعتان بالسفر والترحال والتعرف علي شعوب العالم مثلنا، الأولى تعمل سكرتيرة وموظفة استقبال في فندق والثانية مدرسة أطفال في مدينة زيورخ، ولقد جمعت بينهما إضافة إلي هذه الهواية، هواية تنس الطاولة التي برعنا فيها علي مستوي سويسرا كلها، كانت رؤية شمس منتصف الليل واحدة من أمنياتهن العديدة والتي رُدت واحدة وهي زيارة منطقة الخليج العربي خاصة بعد كارثة الغزو العراقي، رُرتا الكثير من دول العالم، أوروبا والأمريكيتين وأستراليا ومازّل لديهما الكثير من برامج السفر والترحال مثلنا.

وفي الواقع لا يمكن الفصل بين مشاهدة شمس منتصف الليل ومنطقة نورث كاب وهي أعلى منطقة وأقربها للقطب الشمالي في قارة أوروبا، ويقابلها في الجنوب "كيب دي هورن" أقصى نقطة في أمريكا الجنوبية وأقربها للقطب الجنوبي.

ولقد تأسست جمعية في النرويج سميت بجمعية نورث كاب لتدوين تاريخ المنطقة وجمع كل ما كتب عنها في يوميات الرحالة ودراسات وأبحاث المكتشفين والمغامرين تقول نشرات الجمعية أن أحدث نظرية حول سكان المنطقة تقول: بأنهم وفدوا إليها منذ ١٠-٨ آلاف سنة مضت من الجنوب، بينما استقر اللايبون في المنطقة منذ ما يزيد علي

شمس منتصف الليل ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

٢٠٠٠ سنة وكانت حرفتهم صيد البر والبحر، ولقد تقلص عددهم في الوقت الحاضر إلي ما يقارب ٨٪ من مجموع سكان المنطقة، وكأي منطقة نائية وغامضة يدور حولها الكثير من الخرافات والأساطير، حتى القصص الحقيقية لم تسلم من المبالغات حولها، فقد كان ينظر إلي المنطقة قبل الإكتشافات الجغرافية علي أنها الحدود الشمالية القصوى للحضارة البشرية ولا شئ وراءها، كما نظر العرب إلي المحيط الأطلسي إبان الفتوحات الإسلامية واعتقدوا في بداية الأمر أن بحر الظلمات هو الحدود الغربية للعالم ولا شئ وراءه.

وتعود تسمية نورث كاب التي تعني بالعربية رأس الشمال أو الرأس الشمالية، إلي سنة ١٥٥٣ عندما غادرت ثلاث سفن إنجليزية لندن بقيادة السير "هوف ويلوباي" في حملة بحرية هدفها اكتشاف طريق شمالي إلي الصين، ونظراً لقيام عاصفة هوجاء تفرقت تلك السفن وكانت السفينة "إدفارد بونا فينتورا" بقيادة الريان "ريتشارد تشانسler" إحدى هذه السفن التي طافت حول جبل كبير كان يسمى "كنسكانس" في منتصف شهر أغسطس وأطلق عليه الريان ريتشارد اسم نورث كاب والذي ما زال مستعملاً حتى اليوم.

وأول من رسم منطقة نورث كاب هو المصور الهولندي "يان هوجن فان لينشوتن" وذلك في سنة ١٥٩٤، وبعدها زار المنطقة الأمير لويس فليب سنة ١٧٠٥ الذي جاء هارباً من فرنسا إبان الثورة، أما أول فوج سياحي قدم إلي المنطقة فكان في يوليو ١٨٤٥ بواسطة السفن البخارية.

ويقع رأس "نورث كاب" علي خط عرض ٧١ درجة و ١٠ دقائق و ٢١ ثانية شمال خط الإستواء ويبلغ إرتفاع صخرة الرأس عن سطح البحر ٣٩٧ متراً بما يشبه الجدار القائم.

سيء الحظ يلاقي الضباب في نورث كاب!!

هناك مثل شهير في هذه المنطقة يقول إن سيء الحظ يلاقي الضباب عند قدومه إلي نورث كاب لمشاهدة شمس منتصف الليل بينما سعيد الحظ يجدها مشرقة، نخشى أن نكون من أصحاب الشق الأول من المثل، ها قد تلبد الجو بالغيوم وعلينا الذهاب إلي نورث كاب قبل حلول منتصف الليل حسب عقارب الساعة، لا حسب ما نراه بأمر أعيننا من نهار ما زال يتنفس ولا يبدو أن هناك ليلاً وراءه لا مفر من المشي حتى تقاطع الطرق خارج القرية ما بين الطريق المؤدي إليها والطريق الآخر الذي يقود إلي منطقة نورث كاب والمسافة إلي حيث التقاطع تبلغ ساعة ونصف ساعة مشياً علي الأقدام كما أسلفنا وربما علينا الانتظار طويلاً هناك عند التقاطع إلي حين وصول الحافلة.

وصلنا إلي مفترق الطرق، رأينا علي أحد الجوانب عائلة من شعب اللابلاند أو فنمارك كما يطلقون عليهم هنا في النرويج، وقد نصبت خيمة مربعة لبيع المصنوعات اليدوية مثل جلود حيوان الرنة وقرنيه وحوافر، وأيضاً أكواب مصنوعة أو منحوتة من الخشب وبعض المنسوجات الصوفية، حاولنا التحدث مع أطفال العائلة، لكنهم لا يجيدون أية لغة غير لغتهم بعكس أطفال القرية الذين كانوا يتحدثون شيئاً من الإنجليزية بحسب مستواهم الدراسي حيث أنهم يتعلمونها في المدرسة ربما بدءاً من الصف الرابع الابتدائي كما نذكرلي أحدهم.

مرت عدة حافلات تحمل أعداداً من السياح، إنها حافلات فاخرة ربما هؤلاء ركاب إحدى السفن الفاخرة التي تقف في مدينة هونينسفاك كما ذكرنا، إنها لا تتوقف رغم إلحاحنا عليها بالتوقف، إذن ما العمل ؟ حاولنا عبثاً أن نسأل الأطفال مرة أخرى عن أية

شمس منتصف الليل ♦ ————— ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

وسيلة للذهاب إلي نورث كاب لكن لا فائدة، مرت سيارة خاصة يقودها شاب، وقفت كلوديا علي الطريق وأشارت عليه بالتوقف فتوقف، ركضنا إلي حيث توقفت السيارة ولكن الرجل عندما رأي أمامه أربعة من الركاب اثنان منهم من أصحاب الشوارب التي تقف عليها جميع أنواع الطيور الكواسر قال: إن السيارة لا تستطيع سوي جمل اثنان فقط وبشرط أن تكونا فتاتين أو سيدتين! قاتلك الله وهل نطقت السيارة بهذا الكذب والافك الصراح؟ حاولنا مرة أخرى أن نشرح له صعوبة الحصول علي وسيلة لنقلنا إلي نورث كاب وأننا علي إستعداد لأن ندفع له ما يطلبه ولكنه رفض.

ودعنا بياتريس وكلوديا علي أن نلتقي بهما هناك حيث الشمس المشرقة إذا كان لنا نصيب أخيراً بعد انتظار طويل ونحن نعد الدقائق خشية أن يفوتنا ذلك المنظر العجيب الذي قطعنا لأجله آلاف الأميال وصلت إحدى الحافلات العامة أو حافلات النقل العام وكانت أغلي حافلة نقل عام ركبت فيها طيلة أسفاري حول العالم.

إنطلقنا إلي نورث كاب في الحافلة المكتظة، الطريق عبارة عن أرض مسطحة تكسوها الثلوج في أغلبها، جرداء لا زرع فيها ولا ضرع أخيراً وصلنا ... هذه إذن نورث كاب سقف أوروبا، القطب الشمالي لا يبعد كثيراً عن المنطقة أقيم فيها مبني تعلو قبة وبالقرب من المبني موقف للحافلات الكثيرة وأخر للكرافانات التي جاء بها عدد من السياح من مختلف دول أوروبا، عدد كبير من السياح جاءوا بالحافلات من جميع أنحاء العالم، هنا نسمع- ربما- جميع اللغات بما فيها العربية التي كان يتحدث بها عدد من السياح الذين جاءوا من مصر حسب لهجتهم: كل هؤلاء ونحن معهم جننا لمشاهدة هذه الظاهرة العجيبة. المبني من الداخل عبارة عن مطعم وعدة مقاه وحانوت كبير "سوبر ماركت" وحانوت آخر لبيع الهدايا التذكارية، أغلب هذه الهدايا أشياء عادية كالأقلام والمساطر والحقائب

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

التي تجدها في كل مكان من العالم وأرخص بكثير من هنا، بيد أن هنا كتب عليها نورث كاب وخط عرض المكان وبعضها زين بصور مختلفة للمكان ولشمس منتصف الليل، إذن العملية كلها عبارة عن إستغلال تجاري وسياحي، ولقد نجحوا في ذلك بدليل أن جميع السياح دون إستثناء يخرجون من هنا ومعهم شيئاً، إن لم تكن أشياء من هذه الهدايا التذكارية، بل أنهم يبيعون مجموعة من الزط أو الحصى الصغير ما يقارب حوالي عشر حصيات كرتية الشكل وملساء في كيس صغير بما يقارب الدولار الواحد للكيس، بينما يستطيع أي طفل يجمع منها ما يشاء خارج المبنى وهي تباع هنا علي أنها هدية تذكارية.

وفي الطابق الأسفل من المبنى صالة سينما يتم فيها عرض فيلم سينمائي علي شاشة دائرية يشرح مظاهر الحياة في هذه المنطقة في مختلف الفصول، ومحل تصوير وتحميض الأفلام، ثم بعد ذلك ممر طويل علي جانبيه نوافذ زجاجية لصور مجسمة عن أشهر الأحداث التي مرت بها المنطقة وأشهر زوارها ومنهم الملك أوسكار الثاني الذي زار المنطقة سنة ١٨٨٣، ومتحف صغير. وينتهي الممر بمقهى واسع يطل علي البحر من علو شاهق.

أما خارج المبنى فمن جهة الشمال هناك سور يمنع الزوار من السقوط لحظة تأملهم لحركة الشمس، بينما لا يواصل هذا السور امتداده إلي الجوانب الأخرى حيث أنه من الخطورة إصطحاب الأطفال في هذه الحالة، حتى الكبار لابد لهم من توخي الحذر الشديد عند الإقتراب من حواف الجبال العليا المطلة علي البحر لأنها تنحدر إنحداراً شديداً نحو الأسفل بما يشبه الزاوية القائمة.

وبالقرب من المبنى مجموعة تماثيل، هذا كل ما يوجد من منشآت في تلك المنطقة والهدف منها توفير خدمات للسياح إذ أنهم يفدون إليها من أصقاع شتي. سيء الحظ يجد الضباب في نورث كاب وهل هناك أسوأ من حظنا، لقد حجبت الغيوم عنا الشمس هذا

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

اليوم وغداً هو العشرين من شهر يونيو و بعد غد هو الحادي والعشرون أطول نهار في نصف الكرة الشمالي وهو اليوم الذي تتألق فيه الشمس في أقصى إرتفاع لها فوق خط الأفق علي مدار العام.

شمس منتصف الليل ! وأي ليل ؟!

اليوم هو الحادي والعشرون من شهر يونيو أطول أيام السنة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، نرغب الشمس في نورث كاب مع حشد من الناس جاءوا من كل فج عميق ليشهدوا بديع صنع الخالق جلّت قدرته، إنه يوم الذروة بل اليوم المشهود لمشهد عجيب أنها شمس لا تغيب وقد زلّ النحاس بزوال الغيوم وأشرقت الشمس بأمر ربها، نرغبها وهي تنزق نحو الأفق برفق وتؤده، الساعة العاشرة مساءً ثم الحادية عشر مساءً والشمس تقترب نحو الأفق، ثم الثانية عشر مساءً عند منتصف الليل، ولكن أي ليل، إنه لا أثر لليل، هاهي ذي الشمس فوق الأفق فأأي ليل هذا الذي تشرق فيه الشمس؟! ثم تعود مرة أخرى لترتفع رويداً رويداً بعيداً عن خط الأفق حيث تنطبق السماء علي صفحة البحر، إنها تأتي النزول إلي ما تحت الأفق لتتواري، وكيف لها أن تتواري وهذا الحشد جاء من كل قطر يرقبها ويتأملها؟!

حتى البحر هدأت أمواجه وسكن ريحه وقد خيل إلي أنه هو أيضاً مندهش، لماذا لا تغطس فيه الشمس كعادتها في أصقاع الدنيا الأخرى وكما هي عندنا لحظة الغروب عندما تتواري الشمس خلف الأفق، الساعة الثانية عشرة كأنما تسمرت الشمس في مكانها لا تريد أن تتزحزح، دقائق مرت ثم أخذت الشمس تتحرك رويداً رويداً مبتعدة عن الأفق نحو السماء مرة أخرى، الساعة الواحدة ثم الثانية ثم الثالثة نهار اليوم التالي، إنه ليس بفجر ولا غسق ولا شفق، سبحان الله الذي أبدع كل شئ لا أثر لليل هنا مطلقاً، الرابعة صباحاً أخذت الشمس سيده السماء حيث لا نجوم ولا كواكب ولا قمر منير، سماء صافية لا تشوبها شائبة من غيم أو سحب.

شمس منتصف الليل ♦————♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

ولكن كيف تحدث هذه الظاهرة العجيبة بعد أن رصدناها رصد العين المجردة في هذه البرودة القارسة، يقولون هنا إنهم تعلموا في المدارس بأن الشمس تشرق من الشرق وتغرب في الغرب وهذا ليس صحيحاً عندهم فالشمس تظهر من الشمال أو الجنوب تبعاً للزمن والوقت من السنة، ولقولهم شئ من الواقع، فهذه الشمس أمامنا هبطت من السماء في إتجاه الشمال ثم إرتفعت مرة أخرى من الشمال باتجاه الجنوب دون أن تدركه في هذا الوقت من السنة، ويقابل هذه الظاهرة وفي هذا الوقت بالضبط في الجانب الآخر من الكرة الأرضية أي في القطب الجنوبي ظاهرة الليل القطبي، حيث أن ظاهرة شمس منتصف الليل لا تحدث في الشمال فقط بل أيضاً عند القطب الجنوبي حيث تبلغ الشمس أقصى إرتفاع لها فوق الأفق في ٢٢ ديسمبر عند القطب الجنوبي.

ولعل في تسمية هذه الظاهرة بظاهرة شمس منتصف الليل تسمية غريبة فقد يخيل للقارئ أن الشمس تظهر عند منتصف الليل ثم تختفي! وهذا غير صحيح حيث إن الشمس لا تختفي طوال اليوم من ليل ونهار، فلا ليل هنا أبداً في هذه الفترة من السنة، إذا كيف جاءت تسمية منتصف الليل؟

أما تفسير هذه الظاهرة فهو كما يلي: إن للأرض حركتين، الأولى تدور فيها الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة وتنشأ عن هذه الحركة ظاهرتا الليل والنهار وتعاقبهما والحركة الثانية هي دوران الأرض حول الشمس مرة واحدة كل سنة شمسية، وبما أن محور الأرض يميل بمقدار ٢٣ درجة و ٢٧ دقيقة عن العمودي فإن هذا الميل يؤدي إلي حدوث ظاهرة الفصول وخطوط العرض، ففي الإعتدال الربيعي في ٢١ مارس والإعتدال الخريفي في ٢٢ سبتمبر حيث تكون أشعة الشمس عمودية علي خط الإستواء يتساوى طول الليل والنهار.

أما عندما تكون الشمس عمودية علي مدار السرطان في فصل الصيف وعلي مدار الجدي في فصل الشتاء فإن طول الليل والنهار يختلف من مكان إلي آخر حسب إختلاف خط العرض، فمثلاً بعد الإعتدال الخريفي تأخذ أشعة الشمس تدريجياً في التنقل من إتجاهها العمودي علي خط الإستواء لكي تتعامد علي مدار الجدي في جنوب الكرة الأرضية أي جنوب خط الإستواء وبالتالي يزداد طول الليل في نصف الكرة الأرضية الشمالي ويبلغ أقصاه في الدائرة القطبية الشمالية حيث نحن الآن، حتى إنه في منتصف فصل الشتاء لا تشرق الشمس إطلاقاً ويطول الليل عند القطب إلي ستة أشهر تقريباً أي الفترة بين الإعتدالين الخريفي والربيعي، ويحدث العكس في القطب الجنوبي حيث يبلغ طول النهار حوالي ستة أشهر، أما هنا في الدائرة القطبية الشمالية فتبلغ الشمس في ٢١ يونيو وهو الانقلاب الصيفي أقصى بعدها شمال خط الاستواء وتسمى أيضاً بالمنطقة الأولى من السرطان وهو أطول نهار في شمال الكرة الأرضية، بينما يبلغ أطول ليل في ٢٢ ديسمبر والعكس صحيح في نصف الكرة الجنوبي في الدائرة القطبية الجنوبية، هذا هو التفسير الفلكي لهذه الظاهرة العجيبة.

ولقد كانت مواقيت الصلاة من المآزق التي صادفتنا، فمواقيت الصلاة عندنا تعتمد علي حركة الشمس وتوالي الليل والنهار من فجر وشرق وزيال وعصر وغروب وعشاء، وهذه مواقيت لا وجود لها هنا فكيف السبيل إلي إقامة الصلاة؟ لقد اعتمدنا في الحقيقة علي مواقيت مدينة أوصلو عاصمة النرويج التي نحن الآن في أراضيها وهي تبعد عنا بعد مكة المكرمة عن مدينة القاهرة أو أقل قليلاً، وحول هذا الموضوع أذكر أن أحد الزملاء أرسل مرة يسأل أحد العلماء الأفاضل في مكة المكرمة عن جماعة من المسلمين كانوا يقيمون صلاة الترويح في شهر رمضان المبارك في مدينة أستوكهولم عاصمة السويد والشمس لم تغرب بعد

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

نلك نتيجة لطول النهار وقصر الليل الشديد، وقد أفتي الشيخ ببطلان الصلاة حيث قال انه لا يجوز الإفطار قبل غروب الشمس، ولكن ما قول الشيخ عن صوم رمضان في هذه المنطقة حيث لا شروق ولا غروب ولا ليل ؟ ولو أن الشيخ الفاضل أقام هنا أو في مدينة أستوكهولم علي الأقل ولو لمدة سنة واحدة لما أفتي بتلك الفتوى، وعلي كل حال هناك الكثير من الفتاوى من علماء أفاضل أجازوا إتباع مواقيت أقرب بلد إسلامي.

الخليجيون والفيكنغ!

الحادي والعشرون من يونيو هو أطول نهار وأقصي إرتفاع للشمس ولقد رصدنا هذه الظاهرة في هذا اليوم، إذا في الغد لا بد لنا من الرحيل مرة أخرى إلي الجنوب في رحلة العودة.

شددنا الرحال مرة أخرى إلي مدينة "هونا نسفاغ" حيث أخذنا السفينة البخارية إلي مدينة "ترؤمسو" وهي واحدة من أجمل مدن النرويج حيث يطلقون عليها "باريس الشمال" ويبلغ عدد سكانها حوالي خمسين ألف نسمة وهي عبارة عن جزيرة ترتبط بجسر علوي مع الأراضي النرويجية، وتمر من تحت الجسر السفن، وتعتبر المدينة أكبر مدن الشمال النرويجية، ورغم أن المدينة لا يتعدى تاريخها المائتي سنة، إلا أنها كانت نقطة إنطلاق لإرتياد واكتشاف المناطق القطبية الشمالية، ففي شهر يوليو سنة ١٨٧٨ أبحرت من المدينة بعثة تم تجهيزها بأمر ملك السويد والنرويج وذلك لعبور الممر الشمالي الشرقي في سفينة بخارية شرعية لصيد الحيتان حمولتها ٣٠٠ طن تحت قيادة الرحالة الفنلندي البارون "نلز إدولف نورد ينسكواد" حيث نجح في مهمته بعد أن صادف في طريقه الأهوال من الرياح العاتية والثلوج المنهمرة التي كبلت سفينته أياماً بين أكوام من الجليد في صحاري جليدية شاسعة.

تزيان ميادين وشوارع "ترؤمسو" بتمائيل ومجسمات هندسية علي شكل سفن تمثل عصر الفايكنغ وهم سكان شبه جزيرة إسكندنافيا وشبه جزيرة الدنمارك ويسمون هنا في الدول الإسكندنافية بالفكينغ وليس بالإسم العالمي "الفايكنغ" الشائع وتعني هذه الكلمة

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

باللغات الإسكندنافية سكان الفيوردات أو الخلجان أي الخليجيين نسبة إلى التسمية المعاصرة لسكان الخليج العربي.

والفيكنج هم الذين سكنوا هذه المناطق النائية والقاسية من العالم كما أسلفنا، ولقد كانوا شعوباً بدائياً همجية ولقبوا بالبرابرة وذلك لغزواتهم الهمجية علي أوروبا في القرن التاسع، ولقد برعوا براعة كبيرة في إرتياد البحار وبناء السفن الصغيرة السريعة التي ساعدتهم في غزواتهم وغاراتهم علي سكان أوروبا والبحر المتوسط، وكذلك في إكتشافاتهم البحرية حتى يقال أنهم وصلوا إلي شواطئ وسواحل أمريكا الشمالية مما وضعهم في مصاف أعظم الشعوب البحرية التي ظهرت حتى الآن. وبرعوا كذلك في القتال وذلك نظراً لقوتهم العضلية وشراستهم وعنفهم ويعزى جنوحهم للغزء وحب المغامرة إلي عوامل نفسية وإقتصادية وإجتماعية وسياسية، أما الناحية النفسية فقد أثبت التاريخ أن الشعوب المختلفة يغلب عليها الشعور بالحسد والطمح للدول المتحضرة القريبة منها، وتتملكها الرغبة العارمة في الإغارة علي جيرانها لنهب ثروتها.

أما العوامل الإقتصادية فهي فقر بلادهم والعوامل السياسية كانت رغبتهم في الفرار من النظام الملكي الصارم الذي أقامه هارولد الأشقر أحد أعتى ملوكهم.

ورغم عدم وجود مسميات للسويد والنرويج والدنمارك في ذلك الوقت، إلا أن شعب الفيكنج الذي سكن مناطق السويد الحالية غزء أفراده بحر البلطيق ووصلوا إلي البحر الأسود، وكانوا يحملون سفنهم عبر سهول شرق أوروبا حتى وصلوا بها إلي البحر الأسود.

ولقد عرف (بضم العين) الفيكنج من سكان السويد في منطقة البحر الأسود باسم الرئيس وهو لفظ يعني البحارة ومازَل هذا الإسم سارياً حتى الآن حيث تسميت به جمهورية روسيا الإتحادية وشعبها باسم الرئيس! ولقد برع هؤلاء القوم فيما برعوا فيه

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

بالتجارة وأهمها تجارة الفراء والرقيق وكانت لهم علاقات مع الإمبراطورية الإسلامية في بغداد في ذلك الوقت حيث عثر علي مسكوكات عربية في السويد وروسيا يرجع تاريخها إلي الفترة الواقعة بين ٨٥٠-١٠٠٠م، أما سكان النرويج من شعب الفيكنج القدماء فقد اتجهوا غرباً ووصلوا إنجلترا وإيرلندا وأيسلندا وجرينلاند وذلك حوالي سنة ١٠٠٠م، بينما إتجه سكان الدنمارك إلي الجنوب والغرب ووصلوا إلي ألمانيا وفرنسا وإنجلترا.

ولم تسلم أسبانيا الإسلامية أو الأندلس من غاراتهم، ورغم وثنية الفيكنج إلا أن مسلمي الأندلس أطلقوا عليهم لقب المجوس وذلك لكثرة الحرائق التي كانوا يشعلونها في البلاد التي يستولون عليها ظناً منهم- أي ظناً من المسلمين- أن الفيكنج يعبدون النار.

ولقد أرسل عبد الرحمن الثاني أحد ملوك الأندلس سفيراً إلي ملكهم ولقد كان لدخولهم في الديانة المسيحية أثر حاسم في صبغ أوروبا كلها بالصبغة المسيحية، حيث أنهم كان لديهم إستعداد- ربما نظراً لوثنيتهم أو لعدم إتباعهم لأي دين، قبول أية ديانة تعرض عليهم، ولو أنهم اعتنقوا ديانة جيرانهم المسلمين في القوقاز ونقصد بذلك لو إعتنق الفيكنج الرئيس ديانة الإسلام لانتقلت الديانة الإسلامية إلي المناطق الشمالية واعتنقتها دول عديدة.

لقد طابت لي الإقامة في هذه المدينة الوادعة، ولو كان الأمر بيدي لأطلت المقام خاصة وقد شملتنا مديرة الفندق برعايتها وعنايتها، وهي سيدة مطلقة في العقد الثالث من عمرها، تنعم بجمال ساحر أخاذ يعيونها الزرق وشعرها الأشقر وقوامها الرشيق، تقول أنها من سلالة الفيكنج الذين جابوا هذه المناطق وكثيراً ما أداعبها بقولي عندما تسألني من أين أنت بأنني أيضاً من الفيكنج، حيث أن الفيكنج تعني الخليجين كما أسلفنا أي أنني "فيكنج" نسخة عربية!

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

ربما لخلو الفندق في هذا الوقت من العام فأنها تجد الوقت الكافي للتحدث إلينا
أو لأنها تشكو الوحدة كما بينت لنا، إذ أن العلاقات الاجتماعية هنا محدودة جداً في دول
الشمال.

أجول في المدينة وأزير معالمها ثم أعود إلي الفندق لتسرد علي مديرتة أحاديثاً كثيرة
في النرويج والنرويجيين، إلي أن حان الوداع وكان وداعاً مؤثراً من جانبها إذ قالت: هذه
أول مرة أشعر فيها وكأنكما صديقان حميمان لا نزيلين كسائر النزلاء.

الرحيل إلى الجنوب:-

لقد أزنف الرحيل مرة أخرى، نقل فؤدك وعقلك حيث شئت في ربوع العالم ولكن حنينك يبغي دوماً لأول منزل ألفته وألفك، أفضل وسيلة إنتقال هي السفينة البخارية ولا شئ غيرها، ركبنا واحدة عتيقة ولكنها مع ذلك جيدة التجهيز والإعداد من الداخل والصناعة النرويجية عموماً خاصة في مجال السفن، من الصناعات المعمرة.

وجهتنا هذه المرة مدينة "بيرغن" ثاني مدن النرويج بعد أوصلو العاصمة، تتوقف هذه السفينة التي هي عبارة عن سفينة ركاب تحمل بضائع من حجم الطرود الصغيرة في كل مواني النرويج أو مدنها الساحلية تقريباً، في رحلات منتظمة تسمى "هورتيغرتن"، تتوقف خلالها في ٣٣ مدينة علي طول الساحل من أقص شمال مدينة النرويج حتى مدينة بيرغن، ولا أعرف لماذا لا تواصل إبحارها إلي مدينة أوصلو العاصمة رغم وجود عدة مدن ساحلية ما بين بيرغن وأوصلو، وعندما عرف الضابط الإداري في السفينة أننا رحالان عربيان، أعطانا أفضل غرف السفينة ذات الدرجة الأولى رغم أننا حجزنا علي الدرجة السياحية ولقد إستغرقت الرحلة أربعة أيام شاهدنا فيها مناظر طبيعية خلابة من أمتع المناظر التي يمكن أن يشاهدها إنسان هذا بشهادة عدد من ركاب السفينة من ذوي الجنسيات المختلفة.

تبحر السفينة بين أمواج خفيفة ونسيم عليل وسط قنوات طبيعية تحيط بها من الجانبين سلاسل جبلية عالية تكسوها الخضرة وتنحدر من قممها شلالات وجداول منها ما هو ينساب صافياً سائغاً شرايه، ومنها ما قد جمدته البريدة وهو في أول نزوله فبدأ من بعيد خيطاً أبيض يمتد من قمة الجبل حتى صفحة الماء.

شمس منتصف الليل ♦—————♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

وتتناثر علي الجانبين أكواخ صغيرة ملحق بها أرصفة خشبية لرسو القوارب الصغيرة وهي أكواخ يستخدمها الصيادون والمصطافون

أعداد كبيرة من الجزر لا حصر لها مختلفة أحجامها، وفيوردات أو خلجان أو أخوار علي إمتداد الطريق البحري.

رغم صعوبة المناورة عند الرسو والإقلاع بهذا النوع من السفن إلا أن مهارة الريان جعلت من هذه العملية الصعبة سهلة مريحة، هاهي السفينة تدخل علي الرصيف وتقلع منه دون أدني مساعدة من قاطرات أو عمال إرساء، ربما جاءت هذه المهارة من تكرار هذه العملية عشرات المرات منذ بدء الرحلة حتى نهايتها.

يتيح التوقف في بعض المدن والبلدات، التجول فيها وشراء الهدايا التذكارية أو الجلوس علي المقاهي القريبة من الرصيف وعادة لا تتوقف السفينة أكثر من ساعة ينزل خلالها ركاب يصعد آخرون في عملية لا تتوقف آناء الليل والنهار.

يتيح الفراغ علي ظهر السفينة فرصة للتعرف علي الآخريين هذه كاتبة من ألمانيا جاءت تقضي عطلتها في ربوع النرويج، أراها جلست في ركن من مؤخرة السفينة تتأمل الطبيعة ولا تمل من الكتابة أسألتها: إنك منهمكة في الكتابة والقلم لا يفارق أناملك، ولكن ماذا تكتبين؟ تقول إنني أكتب قصة أتخيل وقائعها وأحداثها علي ظهر سفينة في بحار عاتية قذف بها الموج بعيداً عن الساحل

وآخر مصور سينمائي إيطالي جاء مع زوجته لا يتوقف عن التصوير حتى في أوقات تناول الطعام، كلما رأي منظرًا جميلاً قفز من مقعدة وهربل خارجاً تتبعه زوجته وسط إبتسامات الركاب وهمساتهم ... إنها رحلة رائعة لقضاء شهر العسل لمن أراد أن يتذوقه ... جعل الله أيام قرائنا الأفاضل عسلاً دائماً وأنساً لا ينقضي....

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

أتلقت حوالي فأري رفيق الرحلة منتصباً خلفي مجرداً وراءه عجوراً أمريكية شمطاء جاءت للتعرف علي قطر وموقعها علي الخريطة التي أحملها في جيبى دائماً، بعد أن قص عليها الكثير من القصص عن قطر وشعبها، هنيئاً لك رفيقي هذا العسل المعتق وجعله رائقاً لك أعواماً طويلة ... لديه قدرة عجيبة علي إكتساب ثقة الآخرين والتعرف عليهم، لا أراه إلا مع ثلة من الركاب يحادثهم ويسامرهم ويلاطف أطفالهم، إن رحلات كهذه تضيي الألفة بين الركاب ومن خلال أحاديثه مع الآخرين عرفنا الكثير عن المناطق الجميلة في النرويج والأماكن السياحية التي تستحق عناء الزيارة.....

أذاع علينا ربان الباخرة بأننا قد عبرنا للتو الخط الوهمي للدائرة القطبية، ختموا في السفينة جواز سفري بختم العبور هذا وهو ختم دعائي يستخدم لأغراض الدعاية السياحية ليس إلا، ولقد قام بهذا الإجراء الضابط الإداري للسفينة علي سبيل الذكرى وهي بدعة سياحية فعلوها معنا في منطقة نورث كاب أيضاً.....

كانت الرحلة منذ بدايتها ممتعة ومريحة، تبحر السفينة بين أمواج وادعة، ثم بدأت تعلو وأخذت الرياح تزمجر، وتمايلت السفينة، ثم إزداد البحر عنفاً واشتدت الرياح وتهاوي الركاب علي المقاعد وفي الطرقات صرعي دوار البحر، إننا نمر الآن في المنطقة المفتوحة لأمواج المحيط الأطلسي، هكذا أخبرنا الضابط الإداري من مكبر الصوت وأخذ يوجه بعض النصائح للركاب، في بداية الرحلة كانت الجزر بمثابة حاجز تتكسر عليه الأمواج، أما الآن وفي هذه المنطقة تكثر الأعاصير والأمواج العالية ولم تتوقف معاناتنا إلا عند إقترابنا من مدينة "بيرغن" التي وصلناها ظهر اليوم.

تعتبر مدينة بيرغن ثاني مدن النرويج بعد أوسلو العاصمة وهي ميناء بحري هام تقوم فيها صناعة مزدهرة لبناء السفن ولها ماضي عريق حيث بناها الملك "أولاف كيري" منذ ما

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

يزيد علي ٩٠٠ سنة وأصبحت بعد ذلك عاصمة النرويج في القرن الثاني عشر والثالث عشر ويبلغ عدد سكانها ما يقارب ٢١١ ألف نسمة وتقع في الجنوب الغربي من النرويج وهي مركز سياحي وتجاري وثقافي، وتحيط بها سلسلة جبال تشكل منظرًا أخاذًا عند الدخول إليها من ناحية البحر وبالإمكان الإستمتاع بمنظر المدينة عن طريق الصعود إلي قمة الجبل بواسطة العربات المعلقة التي تتحرك بواسطة الأسلاك "كيبل كار" وهي من المدن القليلة التي يشتاق المرء إلي رؤيتها وزيارتها أكثر من مرة حيث توفر قضاء وقت مليء بالبهجة وهناك الكثير من المرافق السياحية الجذابة كالمتاحف والأسواق والحدايق والقصور....

شاهدنا في طرقاتها بعضاً من إحتفالاتهم الغريبة بالزواج فتيات وقتيان يتجولون في الطرقات بملابس غريبة أسراباً كل سرب بما عليهم فرحون!، ولقد خطر في ذهني سؤال وهو لماذا تكثر الزيجات في فصل الصيف؟ عندنا موسم الزواج وعندهم أيضاً! هل هو موسم الإخصاب عند بني البشر؟ أم له وقع آخر علي قلوب أهل القيود الذهبية؟

الطريق إلى أسلو

لقد طاب لنا المقام هنا كما طاب لنا في ترؤمسو، هناك كانت واحدة تقص علينا أقاصيص أهل المدينة وحكاياتها، هنا إلتف علينا ثلة من جميلات المدينة يطلبن منا أن نقص عليهن حكاياتنا ومن أي قطر وفدنا وكان وداعاً دافئاً علي وعد منا بالعودة متى ما تيسرت لها الأسباب.

قررنا الإنتقال إلي العاصمة أوسلو التي تقع ناحية الشرق من مدينة بيرغن، وأفضل وسيلة إنتقال هي القطار، حيث تتيح الرحلة بالقطار مشاهدة أجمل مناطق النرويج على قمم جبلية عالية تكسوها الثلوج رغم الشمس الساطعة، ويمكن لنا أن نتخيل- خلال هذه الرحلة- الجهود الجبارة والمبالغ الباهظة التي أنفقتها حكومة النرويج في شق وتعبيد هذه الطرق البرية سواء طرق السيارات أو السكك الحديدية بين الجبال الوعرة.

النرويج مملكة كالسويد والدنمارك تشغل الجزء الغربي من شبه جزيرة إسكندنافيا كما أسلفنا وأهم مدنها هي: أوسلو وبيرغن وترؤندهييم وستافانغر ودرامين وكريستيان سوندوسكين، كما تسيطر النرويج علي عدة جزر وأراضي عبر البحار أهمها جزر سفالبارد ويان ماين في المحيط المتجمد الجنوبي الشمالي وبونت وجذر بطرس في المحيط المتجمد الجنوبي ولهذا قصة سوف نرويها في كتابنا القادم حول رحلتنا الأخيرة إلي قارة أنتاركتيكا أو القارة القطبية الجنوبية بإذن الله.

مناخ النرويج عموماً معتدل بفضل التيار الأطلنطي الشمالي، ويرتفع سطح البلاد دون تدرج من الشاطئ إلي هضاب عالية كما شاهدنا في منطقة نورث كاب وخلال رحلتنا من أقصى الشمال حتى أقصى جنوب المملكة، وأقصى إرتفاع للسطح كما بلغت هضبة

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا ◆

دوفريغل هو ٢٤٨١ متر وهذا يعتبر إرتفاعاً متواضعاً أمام الإرتفاعات الشاهقة التي بلغناها فوق قمم الإنديز في رحلتنا إلى أمريكا الجنوبية والتي سوف يتضمنها كتاب آخر لنا قريباً بإذن الله.

أهم موارد النرويج الطبيعية كما أسلفنا الأخشاب حيث تغطي الغابات حوالي ٢٥٪ من مساحة النرويج والمعادن كالنحاس والحديد والزنك والكوبالت والبتروال والغاز الطبيعي والأسماك، أما أهم صادراتها فهي: لب الخشب والمصنوعات الخشبية والمعادن والمنتجات الكيماوية والكهربائية والصناعية.

والنرويج ملكية دستورية حيث يمثل المجلس النيابي السلطة التشريعية والملك يملك ولا يحكم إذ أن الحكم بيد مجلس الوزراء، أما نشأة مملكة النرويج فهي نشأة شبيهة بسائر دول إسكندنافيا وتاريخها غامض كتاريخهم قبل عصر الفينكغ، وكانت البلاد مقسمة بين عدة ملوك صغار في القرن التاسع إلي أن وحد الملك هارولد الأول البلاد سنة ٨٧٢، ثم أدخل الملك أولاف الثاني المسيحية للبلاد في الفترة ما بين ١٠١٥ - ١٠٢٨م الذي خلعه كانوت عن الحكم، ثم تولي الحكم بعد كانوت ماغنوس الأول ابن أولاف الثاني سنة ١٠٣٥.

ثم عمت الفوضى بعد ذلك البلاد إلي أن جاء الملك سفيراً سنة ١٢٠١ وجمع كل السلطات بيده وهزم طبقة الأشراف التي كانت مسيطرة علي مقدرات البلاد، إلا أن طبقة أخرى من الأشراف والوجهاء تكونت في عهد الملك سفيراً حيث سيطرت علي ثروات البلاد.

ولقد بلغت النرويج ذروة إزدهارها في فترة حكم ماغنوس السادس، وهاكون الرابع في القرن الثالث عشر ولكنها سرعان ما تدهورت عندما إحتكرت عصابة الهنزة تجارتها الخارجية ثم اضمحل وتلاشي كيان الدولة فيها في القرن الرابع عشر، ثم تمكنت الملكة

شمس منتصف الليل ♦—————♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

مارغريت ملكة الدنمارك وزوجة هاكون السادس ملك النرويج من توحيد دول إسكندنافيا
الثلاث النرويج والسويد والدنمارك تحت حكمها سنة ١٣٩٧.

واستمر حكم الملوك الدنماركيين للنرويج حتى سنة ١٨١٤ حيث تنازلت عنها الدنمارك
للسويد، ولقد حاول بعد ذلك الأمير كرستيان (الذي أصبح ملكاً للدنمارك فيما بعد وتسمي
باسم كرستيان الثامن) أن يعلن النرويج مملكة مستقلة إلا أنه فشل في ذلك وأخضعت
النرويج لحكم السويد مرة أخرى بصورة إتحاد رغم أن ميثاق هذا الإتحاد الذي وضع سنة
١٨١٥ إعترف بالنرويج مملكة مستقلة لها دستورها وبرلمانها تحت حكم ملك السويد
وليست تابعة لمملكة السويد إلي أن حصل الزعيم الشعبي النرويجي "يوهان شفيرد روب"
علي بعض الإمتيازات لبلاده من السويد في أواخر القرن التاسع عشر، ولقد ما طلت السويد
في إعطاء المزيد من الحريات للنرويج، إلي أن أعلن البرلمان النرويجي إلغاء الإتحاد القائم
بين النرويج والسويد سنة ١٩٠٥ ورضخت السويد لهذا الأمر، وتوج الإبن الثاني لفردريك
الثامن ملك الدنمارك، ملكاً علي النرويج واتخذ اسماً له هو "هاكون السابع".

ولقد هاجر الكثير من أهل النرويج إلي الولايات المتحدة في نهاية القرن التاسع عشر
وبداية القرن العشرين، كما بذل بعض المكتشفين منهم جهوداً عظيمة في إرتياد منطقتي
القطبين الشمالي والجنوبي وضعتهم في مصاب الرئاد العظام علي المستوي العالمي منهم
مثلاً نانسن، وأمندن الذي وظف خبرته في إرتياد منطقة القطب الشمالي في الوصول إلي
القارة أنتاركتيكا ومن ثم أول من وصل إلي منطقة القطب الجنوبي ورفع علم بلاده لأول
مرة في تاريخ البشرية وسبق بذلك المغامر الإنجليزي سكوت الذي وصل بعده ومات حسرة
وضياعاً في القطب الجنوبي، بينما عاد أمندن إلي بلاده بعد أن رفع علمها علي أجزء

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا ◆

كبيرة من القارة القطبية الجنوبية التي أصبحت ضمن ممتلكات النرويج حتى اليوم وهي قصة سوف نرويها في كتابنا القادم إن شاء الله.

إنتهجت النرويج سياسة إشتراكية نتيجة لنمو قوة حزب العمال، ورغم إعلانها الحياد في الحرب العالمية الثانية، إلا أن ألمانيا غزتها دون سابق إنذار في شهر إبريل سنة ١٩٤٠ بعد مقاومة قصيرة الأمد ولقد أقام الملك هاكون ووزرائه حكومة منفي في لندن، بينما واصلت المقاومة الوطنية قتالها ضد المعتدين في الداخل واستمر الإحتلال النازي للنرويج حتى نهاية الحرب في مايو ١٩٤٥، حيث تولت حكومات عمالية حكم البلاد سنت خلالها تشريعات إشتراكية، وتعتبر النرويج عضو أصيل في منظمة الأمم المتحدة، وكان وزير خارجيتها " تريغفي لي " هو أول أمين عام لهيئة الأمم المتحدة.

في أوصلو عاصمة النرويج:-

أخيراً وصلنا إلى مدينة أوصلو عاصمة النرويج، وقد يدهش القارئ الكريم، كيف تكون عاصمة الدولة هي آخر محطة فيها؟ نعم لقارئنا الكريم حق في هذه الدهشة، فهو لم يعد بعد علي رحلات صعاليك الرحالة الذين يحملون متاعهم علي ظهورهم ويطوفون بلدان العالم علي أرجلهم أو بأرخص وسائل النقل والمواصلات المتيسرة لقد إعتاد قارئنا العربي علي قراءة كتب الرحالة المحدثين ممن يحملون ألقاباً فخمة كمعالي الوزير الرحالة أو سعادة السفير الرحالة أو سعادة مدير عام مؤسسة كذلك الصحيفة، هؤلاء الذين ينتقلون بأفخر وسائل النقل وفي الدرجة الأولى منها، والذين تفتح لهم صالات كبار الزوار في المطارات ويستقبلهم كبار المسؤولين أو السفراء وتوضع تحت تصرفهم جميع خدمات السفارات بحكم وضعهم الإجتماعي أو الوظيفي أو الذين يحملون جوازات سفر دبلوماسية، ولكن أن يتصدى لهذا الأمر أو أن يكتب في هذا النوع من الأدب الشعبي أحد العامة أو أحد "الصعاليك" فهذا شئ جديد، لم تسمح لي قدراتي المادية بأن أدخل الدول من عواصمها ولا أن أنتقل بأفخر وسائل النقل، حتى ولو تيسرت لي هذه الإمكانيات فلن أستخدمها لأن همي هو أن أعطي القارئ العربي الكريم في أي مكان من العالم فكرة عادات الشعوب وتقاليدها علي الطبيعة ومن خلال الإحتكاك المباشر لا من خلال ما يرويه لي سائق سيارة السفارة أو المرافق الرسمي، كما أنني أجد لزماً علي أن أعرف القارئ الكريم عن أيسر وأرخص السبل التي تتيح له معرفة دول وشعوب العالم وكيف يقضي إجازة ممتعة بأرخص الأسعار.

كانت تسمى أوصلو فيما مضي بإسم "كريستيانيا" حتى سنة ١٩٢٥، يربو عدد سكانها في الوقت الحاضر علي ٥٨٠ ألف نسمة، وتشتهر بصناعة الأجهزة الكهربائية والآلات والمواد الكيماوية، وتشتهر أيضاً بجامعةها التي تأسست عام ١٨١١ وقلعة اكرشوس التي يعود إنشاؤها إلي القرن الثالث عشر وتطل علي الميناء، أما الناس في أوصلو وسائر النرويج عموماً فهم يبيلون إلي القصر والبدانة نسبة إلي جيراهم السويديين.

رغم أن نوبل كان سويدياً وأن أكاديمية العلوم في مدينة أستوكهولم عاصمة السويد هي التي تقرر جوائز نوبل في الأدب والعلوم والاقتصاد والطب والفيزياء والكيمياء، إلا أن البرلمان النرويجي الذي يبلغ تعداداه ١٥٠ عضواً هو الذي يقرر جائزة نوبل للسلام وذلك نتيجة للعلاقة القوية بين الدولتين، رغم "النكت" والدعابات التي تصل أحياناً إلي حد السخرية والتي يطلقها السويديون علي النرويجيين ويتهمونهم فيها بالسداجة والغباء وأنهم قرييون لا يفهمون في الحضارة والتطور، ولقد حفظ زميلي عدداً من نكت السويديين علي النرويجيين وكان يريها لهم عندما يلتقي بهم أو عندما يصادف موقفاً فظاً من أحدهم وكنت أشفق علي المرء منهم وهو يدافع عن نفسه أو عن قومه أمام زميلي من تهمة لم يقرنها.

ظاهرة أخرى تشتهر بها النرويج وهي ظاهرة الفئران التي تقدم علي الإنتحار غرقاً بالملايين، وكنت قد قرأت عن هذه الظاهرة، إلا أن السؤال عنها قد يعطي الجواب أكثر واقعية، طرحت هذا السؤال علي مجموعة من مرتادي أحد المقاهي الكثيرة المنتشرة في مرفأ أوصلو من الشباب النرويجي قال أحدهم: هناك أوقات معينة من السنة تتكرر بقدم أعداد كبيرة من الفئران من جهة الشرق تبلغ الملايين تحصد في طريقها ما تجده من نباتات وخضرة إلي أن تصل البحر جهة الغرب فتقفز فيه لتكون طعماً للأسماك، ولا أحد

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا ◆

هنا يعرف بالضبط تفسيراً لهذه الظاهرة التي تقوم بها الفئران الكبيرة، فقلت معلقاً علي حديثه: ليت أن "فئران" الوطن العربي الممتلئة تفعل مثل هذا، لو فرت علينا الملايين من السموم التي فقدت فاعليتها.

لا تخلو "أوسلو" من أماكن سياحية، فهناك المتاحف وخاصة المتاحف البحرية التي تصور حياة شعب الفيكنغ وسفنهم ومغامراتهم كما تنتشر المقاهي والمطاعم علي الأرصفة البحرية حيث الزئارق والحافلات البحرية التي تنقل الركاب والسياح في جولات سياحية حول الجزر.

يختلف الشعب النرويجي في تعامله مع الأجانب عن الشعب الفنلندي فهو أقرب إلي الشعب السويدي، فالإبتسامات التي كنا نلقاها في فنلندا قد إختفت، النساء هنا أكثر سطوة من الرجال وأقوى في الشخصية بل ربما تصل في بعض الأحيان إلي درجة الوقاحة عند بعضهن!، أما الرجال فإنهم أكثر نعومة ورقة من نساءهم، بل إن البعض من رجالهم تصل عندهم درجة الرقة والنعومة إلي درجة مريبة! أهؤلاء هم أحفاد الفيكنغ القساة الغلاظ الشداد البرابرة!؟

العناق بين الرجال بمناسبة وبدون مناسبة ظاهرة عامة لا نظير لها إطلاقاً عند جيرانهم الفنلنديين والسويديين وحتى الدنماركيين أكثر شعوب الشمال خلاعة وتهتكا النساء وحدهن في واد والرجال في واد آخر، ربما لا يحتاج طرف منهم للآخر! نري تجمعات للرجال وأخرى للنساء وتجمعات مختلطة في المقاهي والميادين العامة والحدائق، يبدو أن المرأة النرويجية لا تطيق الرجل الغريب ولا تهوي اللقاء به، لقد مضي ذلك الزمن الذي كانت المرأة النرويجية فيه تلهث وراء أصحاب الشعر الأسود مثلنا، ذلك عصر مضي وانقضي ليته يعود! الغلظة أو الخشونة (النسبية) في التعامل صفة عامة مقارنة مع

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

جيرانهم وخاصة مع الأجانب، ولا يعني هذا أنهم وقحون ولكن الحق يقال أن الرجال أكثر لطفاً وتفهماً وتعاوناً.

مرت ثلاثة أيام في جولتنا هذه ونحن نتجول في مدينة أوسلو التي زرتها من قبل مراراً وتكراراً.

أزف الرحيل مرة أخرى ولكن إلي السويد هذه المرة أخذنا القطار من أوسلو، دخلنا الأراضي السويدية دون أن نشعر وصلنا مدينة "غوتوبوي" أو "غوتنبرغ" السويدية وقصتي في السويد هي قصة طويلة أرويها في كتابي القادم بعنوان "إلي سقف العالم".